

الغنائم أيها النائم

الشيخ الدكتور / علي بن عمر بادحدح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.
فإن كل إنسان يحب أن يربح ، ويريد أن يكسب ، وإذا تيسر له الكسب بدون جهد يذكر، ويقدر أكبر ، فما من شك أن سيكون أشد حرصاً وأعظم اهتماماً بذلك ، فإذا ضُمن له ذلك المغنم في كل يوم فإنه سيواظب بلا انقطاع على التحصيل وجمع المزيد ؛ لأن ذلك يعظم أرباحه ويزيد ماله ولن يدخر جهداً في سبيل حصوله على ذلك الكسب من ذلك المورد ، ولن يفرط في أي سبب ، ولن يتأخر عن أي موعد ، ومثل هذا ستراه بعد زمن وقد عظمت مغانمه ، وزادت مكاسبه .

والآن ما رأيك لو أنك أنت - أخي القارئ - الذي دعيت لتأخذ تلك المغانم ، وتنال تلك المكاسب ، إنها تبذل لك وتقيد في رصيدك ، بدون أي تأخير أو تقصير ، هل ستفرط فيها أو تتنازل عنها ؟ إن تفكيرك في مصلحتك وفائدتك سيمنعك من ذلك .

وأريدك الآن أن تواصل معي وتعطيني رأيك أيضاً ، ما قولك لو أن الدعوة إلى تلك الغنائم كانت للجميع ، وكل من حضر في الوقت المحدد ويؤدي العمل الميسر سينال أعطيات جزيلة ، ومنحاً عظيمة ؟ ألسنت معي أن الجميع سيبادرون ، وسيوصي كل أحد أبناءه وأقرباءه ليشاركوا في الحصول على الغنائم ، وسيكون المتخلف عن ذلك - عند الجميع - مفرطاً وجانياً على نفسه ، ومضيعاً للفرصة العظيمة في الحصول على الغنيمة الكبيرة ولنقل إن تلك الغنائم تقدمها دولة غنية ، أو جمع من كبار الأثرياء ، وأن المكافأة التي تعطى كل يوم هي عشرة آلاف ريال ، يتسلمها كل من يأتي إلى المكان المحدد ولو وقت المحدد ويؤدي عملاً يسيراً يستغرق نحو ربع ساعة ، وإن زاد لابتجاوز نصف الساعة ، فما رأيك بعد كل هذا الإيضاح فيمن يترك ذلك ويتخلف عنه

ولا يبادر إليه بسبب رغبته في النوم وحبه للراحة !! وما عساك أن تقول فيمن يكاد يتخلف عن ذلك يوم ويضيع بالتالي عشرة آلاف ريال كل يوم !.

وأخيراً دعني أخبرك أن الذي يعطي تلك الغنائم ليس غنياً من الأغنياء وإنما هو الله رب الأرض والسماء ، وأن الغنائم ليست دراهم ولا دنانير ولا ذهباً ولا فضة ، وإنما هي الحسنات والدرجات والجنات .

أليس من الأحرى أن يزداد الحرص ويعظم الاهتمام ؟ لأن المعطي هو الذي لا تنفذ خزائنه ، ولا يُخلف وعده ، ولأنه الكريم الذي لا منتهى لكرمه ، والعظيم الذي لا حد لعظمته

أليس من الأحرى أن لا تفوت الفرصة ، ولا تضيع الغنيمة ؟ أليس كل مفرط مغبون ؟ أليس كل مقصر خاسر ؟ أليس كل مضيع محروم ؟ بلى والله ، وما أعظم الخسران لمن ضيع الغنائم وهو نائم ، لم يكن به مرض مقعد ، ولا حال دونه ودون مراده عدو قاهر .

إنني أعني بكل ما سبق النائمين المتخلفين عن صلاة الفجر وإنني لأهمس - بل أصرخ - في أذن كل منهم : " الغنائم أيها النائم ."

* غنائم الفجر

الغنيمة الأولى : الحرية الإيجابية :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) [متفق عليه] .

الشيطان يقيدك ، وعن الخير يقعدك ، وفي أسره يحبسك ، إنه يصدك عن الذكر ويحرمك من عظيم الأجر ، إذا أردت

أن تجيب النداء " حي على الصلاة " ردك بالترغيب في النوم ، وإذا سمعت المقارنة " الصلاة خير من النوم " صرفك عن الخير بالمزيد من النوم ؛ فإن كنت ذا عزيمة ، وتنبهت وتوضأت وبادرت إلى أداء الصلاة ، كنت في كل خطوة تحطم قيلاً من قيوده ، وتهزم جنداً من جنوده ، وما تزال مواصلاً تذكّر الله فتحل عقدة ، ثم تمضي مصراً على مخالفته فتتوضأ فتتحل الثانية ، ثم تتابع مقبلاً على الله فتقل قوته وتنفك من أسره فتصبح وقد تحررت من قيده ، وتغلبت على مكره وكيده .

ذكر القرطبي - رحمه الله - في قوله - صلى الله عليه وسلم - : (**نم عليك ليل طويل فارقد**) أن هذا من كيد الشيطان وتغريبه بالإنسان ، وقال : أنه - أي الشيطان - يخبره عن طول الليل ثم يأمره بالرقاد... ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه ، وفي قوله : (**يعقد الشيطان...**) نقل ابن حجر : أنه عقد على الحقيقة كعقد الساحر على من يسحره ، كما في قوله تعالى : { **ومن شر النفاثات في العقد** } ثم قال : وقيل هو على المجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور ، فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرف من يحاول عقده كان هذا مثله من الشيطان للنائم... وقيل العقد كناية عن تثبط الشيطان للنائم بالقول المذكور ، ومنه عقدت فلاناً عن امرأته أي منعتة عنها [الفتح 3/25]

وعلى كل فالمراد أن التارك للذكر والطهارة والصلاة واقع تحت تأثير الشيطان ووسواسه ، بل إن البيضاوي أشار إلى ما يدل على الوقوع تحت سلطان الشيطان حيث قال : " التقيد بالثلاث إما للتأكيد ، أو لأنه يريد أن يقطعه عن ثلاثة أشياء الذكر والوضوء والصلاة ، فكأنه منع من كل واحدة منها بعقدة عقدها على رأسه ، وكان تخصيص القفا بذلك لكونه محل الوهم ومجال تصرفه ، وهو أطوع القوى للشيطان وأسرعها إجابة لدعوته " [الفتح 3/26] أي كأنما يتحكم فيه فيقوده وبوجهه بسيطرته وقبضه على قفاه ،

فهل ترضى أن تكون ذلك المأسور المستعبد ؟ أم تكون ذلك القوي المنتصر - بإذن الله - .
إنه انتصار الطاعة على المعصية ، والذكر على الغفلة ، والعزيمة على الضعف ، والخير على الشر ، فما أعظمها من غنيمة ، احرص عليها ولا تفرط .

الغنيمة الثانية : الانطلاقة الحيوية :

ومرة أخرى نأخذ هذه الغنيمة من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - السابق ، إنها غنيمة حسية مهمة ، أثرها ظاهر بل باهر ، وفائدتها أكيدة بل فريدة ، تأمل معي قوله - صلى الله عليه وسلم - فيمن ذكر وتطهر وصلى الفجر : (أصبح نشيط النفس) إن افتتاح اليوم بالذكر والطاعة يجعلك منشراح الصدر ، طيب الخاطر ، قوي العزم ، متجدد النشاط ، تنطلق وفي محياك وسامة ، وعلى ثغرك ابتسامة ، وينفرج - بإذن الله - كريك ، ويزول - بعون الله - همك ، وترى من نفسك على الخير إقبالا ، وللطاعة امثالاً ، وتجد الأمور ميسرة ، والصعاب مذلة ، يلقيك التوفيق مع بشائر النهار ، ويصحبك النجاح في سائر الأحوال .

وانظر - أخي - إلي من حرم هذه النعمة ، وفاتته تلك المنة .. انظر إليه وقد أصبح في غفلة فإذا هو " خبيث النفس كسلان " ، لا يصحوا إلا متثاقلاً ، وتراه مكدر الخاطر ، ضيق الصدر ، فاتر العزم ، تنظر إليه فكأنما جمع هم الدنيا بين عينيه ، وكثيراً ما تتعسر أموره ، وتتعثر مقاصده ، إنه يكون خبيث النفس بسبب " إتمام خديعة الشيطان عليه " ويكون كسلاناً أي متثاقلاً عن الخيرات لا تكاد تسخو نفسه ولا تخف عليها صلاة ، ولا غيرها من القربات ، وربما يحمله ذلك إلى تضييع الواجبات . [المفهم 2/140] .

قال ابن عبد البر : " هذا الذم يختص بمن لم يقم إلى صلاته وضيعها . أما الذي انبعث للطاعة ، وبادر للصلاة ؛ فإنه يكون " طيب النفس " لسروره بما وفقه الله له من الطاعة ، وبما وعده من الثواب ، وبما زال عنه من عقد الشيطان ، كذا قيل ، والذي يظهر أن في صلاة الليل سرّاً في طيب النفس [الفتح 3/26] .

ومن معاني النشاط أنه يكون نشيطاً لما يرد عليه من عبادات آخر من صلوات وغيرها ؛ فإنه يألف العبادات ويعتادها حتى تصير له شرباً ، فتذهب عنه مشقتها ولا يستغني عنها [المفهم 2/409] .

إنه ينشط بزوال آخر سحر الشيطان عنه ، وكفايته إياه ، ورجوعه خاسئاً عنه خائباً من كيده [إكمال المعلم 3/142] .
[فما أحسنها من غنيمة تشبث بها ولا تضيع .

الغنيمة الثالثة : البشارة النورانية :

حديث رواه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ست عشرة صحابياً ، أسوقه لك من رواية بريدة بن الحصيب - صلى الله عليه وسلم - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (**بشِّر المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة**) .

الجزاء من جنس العمل ، والحق - جل وعلا - يقول : { **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** } ، وأنت عندما خرجت لصلاة الفجر ، والظلام مازال يلف الكون ، والدنيا مازالت في الغلس ؛ فإن جزاءك ومكافأتك نور تام يوم القيامة ؛ لأنك أطعت ربك ، وأقبلت على مولاك ، وطلبت النور لقلبك وروحك ، تأمل معي لفظ الحديث : (**بشِّر المشائين**) أي من تكرر منه المشي إلى إقامة الجماعة ، (**في الظلم**) أي ظلمة الليل ، والبشرى هي (**النور التام يوم القيامة**) ؛ لأنهم لما قاسوا مشقة ملازمة المشي في ظلمة الليل إلى الطاعة جوزوا بنور يضيء لهم يوم القيامة ، وهو النور المضمون لكل مشاء إلى الجماعة في الظلم .

ولماذا وصف النور بالتام ؟ والجواب : أن أصل النور يعطى لكل من تلفظ بالشهادتين من مؤمن أو منافق لظاهر حرمة الكلمة ، ثم يقطع نور المنافقين .

وأما تقييده بيوم القيامة فقال الطيبي : " تقييده بيوم القيامة تلميح إلى قصة المؤمنين وقولهم فيه : { **ربنا أتمم لنا نورنا** } ففيه إيذان أن من انتهز هذه الفرصة - وهي المشي إليها في الظلم في الدنيا - كان مع النبيين والصديقين في الأخرى { **وحسن أولئك رفيقاً** } " . [فيض

القدير 3/201] الله أكبر ، متى يأتيك النور ؟ إنه يقدم لك في موقف عصيب ، وهول رهيب ، إنه يسطع بين يديك في وقت أحوج ما تكون إليه ، اقرأ معي قول الله تعالى : { يوم ترى المؤمنين والمؤمنات نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب } .
لله ما أعظمها من نعمة يكون لهم النور في ذلك الموقف الهائل الصعب كل على قدر إيمانه ، ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة فيقال : { بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم } .
فالله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم ، وألذها لنفوسهم ، حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب ، ونجوا من كل شر مرهوب .

فإذا رأى المنافقون المؤمنين يمشون بنورهم ، وهم قد طفئ نورهم وبقوا في الظلمات حائرين ، قالوا للمؤمنين : { انظرونا نقتبس من نوركم } أي أمهلونا لننال من نوركم ما نمشي به لننجو من العذاب . { قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً } أي إن كان ذلك ممكناً ، والحال أن ذلك غير ممكن بل هو من المحالات ، { فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة } وهو الذي يلي المؤمنين { وظاهره من قبله العذاب } وهو الذي يلي المنافقين . [تفسير السعدي 7/290] .

وقد أورد ابن كثير في تفسيره [4/308] عن ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي الدرداء وأبي ذر - رضي الله عنهما - يخبران عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه فانظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم) فقال له رجل : " يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ " فقال : (أعرفهم محللون من أثر الوضوء ،

ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم ، وأعرفهم يؤتون كتبهم
بإيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم ، وأعرفهم
بنورهم يسعى بين أيديهم) .

صلاة الفجر تؤهلك لتكون من أهل النور في وقت يتخبط
فيه الآخرون في الظلمات ، فما أجزلها من غنيمة، بادر
إليها ولا تتأخر .

الغنيمة الرابعة : الشهادة الملائكية :

يقول الحق - جل وعلا - : { أقم الصلاة لدلوك الشمس
إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً
{ ، والمفسرون يذكرون عند هذه الآية حديث أبي هريرة -
رضي الله عنه - ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أنه قال : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ،
ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين
باتوا فيكم فيسألهم الله - وهو أعلم بهم - : كيف تركتم
عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم
يصلون) [متفق عليه] .

إن السائل هو الله ملك الملوك ، والمسئولون هم الملائكة
الذين { لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون } و {
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون } ، نعم هؤلاء الملائكة
المقربون يشهدون لك عند الله ، ويذكرونك بأداء الصلاة ،
ويمدحونك بشهودك الجماعة ، الملائكة الأبرار الأطهار
يشهدون أنك من العباد المصلين الأخيار .

تأمل معي : " لطف الله تعالى بعباده وإكرامه لهم بأن جعل
اجتماع ملائكته في حال طاعة عباده لتكون شهادتهم لهم
بأحسن الشهادة " [الفتح 2/35] .

وتأمل معي أيضاً حكمة سؤال الله للملائكة كما ذكرها ابن
حجر في قوله : " قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني
آدم بالخير واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم ، وذلك
بإظهار الحكمة من خلق الإنسان في مقابلة من قال من
الملائكة : { أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون } أي
وقد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم " .

ورد الحديث أيضاً " فيه الإخبار بما نحن فيه من ضبط أحوالنا حتى نتيقظ ونتحفظ في الأوامر والنواهي ، ونفرح في هذه الأوقات بقدوم رسل ربنا وسؤال ربنا عنا ، وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا ليزداد فيهم حباً وتتقرب بذلك " [الفتح 2/37] ، فهل رأيت أثر صلاة الفجر في صلتك بالملائكة وشهادتهم لك .

وفي التفسير مزيد من القول أنقله لك من تفسير الألوسي عند قوله تعالى : { **إن قرآن الفجر كان مشهوداً** } حيث قال : أخرج النسائي وابن ماجه والترمذي والحاكم وصحاه وجماعة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في تفسير ذلك : تشهد - أي قرآن الفجر - ملائكة الليل وملائكة النهار ، وقيل يشهده كثير من المصلين في العادة ، وقيل من حقه - أي قرآن الفجر - أن تشهد الجماعة الكثيرة ، وقيل تشهد وتحضر فيه شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو أخو الموت .

وأختم هذه الغنيمة بقول الألوسي المفسر - رحمه الله - : " ولا يخفى ما في هذه الجملة من الترغيب والحث على الاعتناء بأمر صلاة الفجر ؛ لأن العبد في ذلك الوقت مشيع كراماً ، ومتلقى كراماً ، فينبغي أن يكون على أحسن حال يتحدث به الراحل ويرتاح إليه النازل " . فما أجلها من غنيمة ، فلا تغب عن شهودها .

الغنيمة الخامسة : الحصانة الإلهية

عن جندب بن سفيان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (**من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشيء**) [رواه مسلم] .

إنها حصانة إلهية ، وحماية ربانية تكون بها-إذا صليت الفجر- في ذمة الله أي في حفظه، يصرف عنك الشرور ، ويبعد عنك الأذى ، ويسلمك من مهاوي الردى ، إنه حفظ عظيم فريد ، وإنه لشرف كبير أن تكون أيها العبد الضعيف في

حماية الملك العظيم رب الأرباب ، وملك الملوك ، وجبار السماوات والأرض - سبحانه وتعالى - .
إن الله يدافع عنك ، ويحذر من يتعرض لك بالأذى ، فأنت في ذمة الله ، أي في أمان الله وفي جواره ، أي قد استجار بالله تعالى ، والله تعالى قد أجاره ، فلا ينبغي لأحد أن يتعرض له بضر أو أذى ، فمن فعل ذلك فالله يطلب بحقه ، ومن يطلبه لم يجد له مفرأ ولا ملجأ ، وهذا وعيد شديد لمن يتعرض للمصلين . [المفهم 2/282] . وعلى هذا فمعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : (لا يطلبنكم الله في ذمته بشيء) هو نهى للناس من أن يتعرضوا له بشيء ؛ فإن فعلوا فإن الله يتهدهم . [حاشية إكمال المعلم 2/630] .

ومن جهة أخرى في الحديث تنبيه مهم لا بد من العناية به والانتباه له ؛ فإن صلاة الفجر هي سبب ذلك الأمان والجوار ؛ فإن تركتها لم يكن أمان ولا جوار ؛ والمعنى الضمني في الحديث " لا تتركوا صلاة الصبح فينتقض العهد الذي بينكم وبين الله عز وجل " [حاشية إكمال المعلم 2/630] .
إنها ثمرة عظيمة ، وغنيمة جسيمة ، وأنت يا من صليت الفجر المؤهل لنيلها ، فلا تفوت الغنيمة ، وتعرض لها ولا تُعرض .

الغنيمة السادسة : النجاة العظمى

عن أبي زهير عمارة بن ربيعة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) يعني الفجر والعصر [رواه مسلم] .

حديث عظيم ، وبشارة كبرى ، إنها السلامة والأمان من عذاب النيران ، إنه المطلب العظيم والسؤال الدائم لأهل الإيمان { الذين يقولون ربنا إنا آمننا فاعفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار } .. { ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقتنا عذاب النار } .. { والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً } ، إن صلاة الفجر صمام أمان من النار ، وسبب من

أسباب النجاة من عذابها ، ومعنى الحديث : " لن يلج النار من عاهد وحافظ على هاتين الصلاتين ببركة المداومة عليها " [المفهم 2/262] .

عذاب النار الذي تخلع منه قلوب المؤمنين ، وتشفق منه نفوسهم ، وحق لهم ذلك فما أخبر الله به عنها فيه أعظم التهديد وأشد الوعيد إنها النار { وقودها الناس والحجارة } ، وظلها { لا ظليل ولا يغني من اللهب } وطعامها { إن شجرة الزقوم طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم } وهو أيضاً كما وصف الله - جلا وعلا - { إن لدينا أنكالاً وحيمياً * وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً } ، وأما الشراب فهو الحميم كما في القران الكريم : { فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم } وقال عنه : { وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا } أنه الشراب الذي لا يطاق بل هو عين العذاب وصاحبه { يتجرعه ولا يكاد يسيغه } عذاب النار الهائل الذي { يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بنيه * وصاحبه وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه } ، إنه لعذاب رهيب ، الجلود تحترق وتنضج وتعود وتتجدد ثم تحرق { إن الذين كفروا بإياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غير جلودهم ليدوقوا العذاب } والأمعاء تتقطع { وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم } ، والوجوه تكب وتسحب { ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار } .. { يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر } .

وأسوأ من ذلك أنها تسود { يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون } ، إنه العذاب في شتى الصور والألوان { والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد } إنها النار من كل جانب { وإن جهنم لمحيطة بالكافرين } كل هذا الهول العظيم والعذاب الأليم ألا تخشى منه ؟ ألا ينخلع قلبك خشية أن تستوجب شيئاً منه ؟ أليست إذن نعمة كبرى ، ومنة عظيمة

أن تسلم وتتجو منه ؟ إنه غنيمة لا يمكن أن تقدر بثمن
فعليك بها ، ولا تدعها تفلت .

الغنيمة السابعة : الغاية الكبرى

دخول الجنة والفوز بنعيمها غاية الغايات ، وأسمى الأمنيات ،
ومنتهى الآمال بالنسبة للمؤمنين ، إنه رجاؤهم الدائم ،
ودعاؤهم المستمر ، إنه الفوز الحقيقي بعد رحلة الحياة
الدينا بكل ما فيها { كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون
أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد
فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور } إنه الثمن الذي تبذل
لأجله الأموال ، وتزهق فيه سبيل الأرواح { إن الله اشترى
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فيقتلون ويقتلون وعداً عليه
حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من
الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز
العظيم } إنه الجزاء العظيم الذي لا ينال إلا بالجهد الكبير
{ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول
الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله
قريب } إنه الثواب الذي لا ينال إلا بجهد وجهاد وصبر
ومصابرة { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين } .. { وما يلقاها لا الذين
صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم } .

الجنة التي فيها { أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم
يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل
مصفى } وفيها { غرف من فوقها غرف مبنية تجري من
تحتها الأنهار } .. { فيها فاكهة ونخل ورمان } ، أكل أهلها
{ فاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون } ،
ولباسهم { يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً
ولباسهم فيها حرير } ، وخدمهم { يطوف عليهم ولدان
مخلدون } ، وأنيتهم { يطاف عليهم بصحاف من ذهب
وأكواب } ، ومجالسهم { متكئين على فرش بطائنها من
إستبرق } ، ومع ذلك لهم { حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون

{ إنه نعيم ما بعده نعيم } كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا به من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون } ، إنه فوق الوصف وأعظم من الخيال { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } .

ألا تشتاق لذلك نفسك ؟ ألا تتعلق به آمالك وطموحاتك ؟ ألا تحب أن تكون من أهلها ؟ خذها غنيمة من غنائم الفجر . من غنائم الفجر دخول الجنة ، كما ورد في حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (من صلى البردين دخل الجنة) [متفق عليه] . حديث موجز في خمس كلمات ، لكنه واضح الدلالة ، وهو نص صريح في بيان أن من غنائم الفجر دخول الجنة ، فما أغلاها من غنيمة !، عض عليها بالنواجذ ولا تفوت .

الغنيمة الثامنة : الزيادة الفريدة

يقول الله - عز وجل - : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } ، وقد ورد في تفسير الآية من قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - حيث جاء : " إنها نعمة ما بعدها من نعمة، إنه إكرام لمن فاز بالجنان بمزية رؤية الرحمن - سبحانه وتعالى - { وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة } . إن من ثمار صلاة الفجر الظفر بهذه الرؤية التي هي أعظم من كل أجر ، وفي ذلك جاء حديث جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال : كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال : (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ؛ فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها فافعلوا) . [متفق عليه] .

الله أكبر رؤية الباري جل جلاله ، يوم يأذن بذلك للمؤمنين يوم القيامة، من أسبابها الميسرة، وأبوابها المشرعة صلاة الفجر ، والربط في الحديث ظاهر وإليك البيان، فالمصطفى - صلى الله عليه وسلم - يخبر أن المؤمنين سيرون ربهم ، ثم يزيد ذلك توكيداً من خلال بيانه أنها رؤية

واضحة كاملة كوضوح رؤيتهم للقمر ليلة البدر ، ويزيد في التوكيد بقوله : (**لا تضامون في رؤيته**) أي لا يلحقكم ضيم ولا مشقة في رؤيته ؛ فإنها تكون سهلة وواضحة ، وبعد ذلك يحث المؤمنين بالحرص والمبادرة على أداء الصلاة قبل طلوع الشمس - والمراد صلاة الفجر - ، وكذلك الصلاة قبل غروب الشمس - والمراد صلاة العصر - ، وقوله : (**إن استطعتم أن لا تغلبوا**) إشارة إلى وجود مثبطات وعوائق تقعد المسلم عن تلك الصلوات ، فدعاه رسول الهدى - صلى الله عليه وسلم - أن يغالب تلك العوائق وأن لا يسمح لها أن تغلبه ، ومراد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بذكر هاتين الصلاتين بعد الرؤية ، الدلالة على أنهما مما يكون سبباً في حصول المؤمن للرؤية واستحقاقه لها . قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " وجه مناسبة ذكر هاتين الصلاتين عند ذكر الرؤية ، أن الصلاة أفضل الطاعات ، وقد ثبت لهاتين الصلاتين الفضل بالنسبة إلى غيرهما ، ذكر من اجتماع الملائكة ورفع الأعمال وغير ذلك فهما أفضل الصلوات فناسب أن يجاز المحافظ عليهما بأفضل العطايا وهو النظر إلى الله تعالى " .

تأمل عظمة هذه النعمة فيما رواه مسلم من حديث صهيب الرومي أن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قال : (**إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله - تبارك وتعالى - : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ قالوا : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى**) .

أما تعلم أن من دعاء النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - : (**اللهم إني أسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**) [صحيح ابن حبان] .

الغنيمة التاسعة: قيام الليل

قيام الليل عبادة عظيمة كان للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - بها اختصاص مذكور في قوله تعالى : { **ومن الليل**

فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً {
وسياق الآية مشعر بفضل قيام الليل وعظيم أثره ، وذلك
لربطه بما ذكر بعده من نيل المصطفى - صلى الله عليه
وسلم - المقام المحمود ، وهو مقام الشفاعة يوم القيامة ،
وقيام الليل عمل ذكره الحق - جل وعلا - في أعمال
وأوصاف المؤمنين حيث قال : { إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا
ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون
* تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً
ومما رزقناهم ينفقون } . وامتدح الله به المتقين عند ذكر
أنهم { كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم
يستغفرون } وعده من خلال عباد الرحمن فقال في حقهم
: { والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً } .

قيام الليل مدرسة الإيمان والتقوى ، ومنبع التزكية
والتطهير، به تحيا القلوب وتزداد إشراقاً ، وبه تسمو
النفوس وتمتلئ أشواقاً ، فيه تذرف العيون دموع الخشية
والندامة ، وتلهج الألسن بدعوات التضرع والإنابة ، وتتمرغ
الجباه في سجود الذل والاستكانة .

قيام الليل مظنة إجابة الدعاء كما قال خاتم الرسل والأنبياء
- صلى الله عليه وسلم - : (إن في الليل لساعة لا يوافقها
عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا
أعطاه الله إياه ، وذلك في كل ليلة) [رواه مسلم] .

وهو من أسباب دخول الجنة كما يبين البشير النذير - عليه
الصلاة والسلام - حين قال : (أيها الناس أفسحوا السلام ،
وأطعموا الطعام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة
بسلام) [رواه الترمذي] .

وقيام الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة بنص حديث
الرسول - صلى الله عليه وسلم - . رواه مسلم .

والآن لعلك تقول كما يقول كثير من الناس- وكلنا ذاك
الرجل - : "لم نعد نقوم الليل، ولا طاقة لنا به ، ضعفت
عنه هممنا ، وقعدت عنه عزائمنا ، وثقلت عن القيام به
أجسادنا ، وشغلتنا عنه أموالنا وأهلونا ، ومع أنني أدعو
نفسي وأدعوك وأدعو كل مسلم أن لا يفوت قيام الليل ولو
ركعتين ؛ فإن في ذلك خير كثير ، وأجر كبير ، ولكنني مع

ذلك أسوق لك غنيمة عظمت من غنائم الفجر ، إذا أدت صلاة الفجر فكأنما قمت الليل كله ، نعم ! كله لا بعضه ، وليس هذا من عندي ، بل هي غنيمة جاء بها حديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الذي يرويه عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال : (**من صلى العشاء في جماعة ، فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله**) . [رواه مسلم] .

إذن فأنت بذلك تنال غنيمة جديدة أكيدة ، فتمسك بها ولا تفرط .

الغنيمة العاشرة: الخير العميم

خير بلا حد ، وفضل بلا سد ، وحسنات بلا عد ، عطاء يفوق الوصف ، وهبات تزيد على الضعف ، لا لا تقل إنها مبالغات ، كلا ! فهذا جود رب الأرض والسموات ، إنه الذي لا تنفذ خزائنه ، ولا ينقص ملكه ، وإن أعطى كل سائل مسألته .. { **ولله ملك السموات والأرض وما بينهما** } .

تصور- أخي القارئ- أن هذه الغنيمة التي سأخبرك بها ليست من غنائم صلاة الفجر ، بل هي غنيمة ركعتي السنة قبل صلاة الفجر ، ولك -بعد أن تعرف الغنيمة - أن تتساءل وتقول : إذا كان هذا لركعتي السنة ، فكيف إذن ركعتي الفريضة ؟ .

اقرأ معي حديث عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**) رواه مسلم ، وفي رواية : (**لهما أحب إليّ من الدنيا وما فيها**) .

سبحان الله (**خير من الدنيا وما فيها**) !! الدنيا بذهبها وفضتها ، وجمالها ونسائها ، الدنيا بكل ملذاتها وشهواتها { **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** } نعم ركعتا الفجر خير من كل ذلك ، ويعدل كل ذلك ويزيد عليه ، والرواية الثانية مؤيدة ومؤكدة لهذا المعنى عندما جاء لفظها بالمقارنة بين الدنيا وركعتي

الفجر وقال الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - (**لهما أحب إليّ من الدنيا جميعاً**) ، إذن فكرر معي فكيف صلاة الفجر ذاتها ؟ .

إنها غنيمة بلا حدود ، فاسع إليها وقيدها بالقيود ؛ فإن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (**لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر**) [متفق عليه] .

الغنيمة الحادية عشر: الحجة التامة

لاشك أنك تعرف أن الحج ركن من أركان الإسلام ، وأن أجره عظيم يخرج به الإنسان من كل ذنوبه ويعود كما ولدته أمّه ، وهو فريضة في العمر مرة واحدة ، وغنائم الفجر تمتد حتى تشمل الحج والعمرة وأجرهما معاً .

رأيت معي الغنيمة العظمى فيما قبل الفجر ، وهذه أخرى جليلة وهي فيما بعد الفجر ، فعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (**من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة**) [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح] .

وأزيدك أيضاً فعن أبي أمامة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (**من صلى صلاة الفجر في جماعة ، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم قام وصلى ركعتين ، انقلب بأجر حجة وعمرة**) قال المنذري : رواه الطبراني وإسناده جيد [الترغيب والترهيب 1/296] .

واقراً معي أيضاً حديث أبي ذر - رضي الله عنه - عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : (**من قال دبر صلاة الفجر - وهو ثان رجله قبل أن يتكلم - : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك يحي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات ، كتب الله له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان يومه ذلك كله في حرز من كل مكروه ، وحرس من الشيطان ، ولم ينبغ بذنب أن يدركه في ذلك إلا الشرك بالله تعالى**) .

ألا ترى كم هي عظيمة وجليلة هذه الفضائل في أعقاب الفجر ، وبعد أداء الفريضة في ذلك الوقت الذي فيه الهدوء والسكينة والنسمات الندية العليلة ، لتبدأ يومك بعد الفجر بالذكر ، وتنال عظيم الأجر .

فهل تترك ذلك مع ما فيه من حياة القلب ، وسمو الروح ، وزكاة النفس لأجل نعاس يداعب جفنيك أو قليل من التعب يوهن جسمك ؟ ولو تأملت وعزمت لهان الأمر عليك وتيسر الأداء لك ؛ فإنما هي ساعة لا أكثر .

فيالها من غنيمة واضب عليها ولا تتقاعس ولا تكسل .

الغنيمة الثانية عشر: البركة الباكرة

روى جابر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (اللهم بارك لأمتي في بكورها) [رواه الطبراني في الأوسط] والبكور أول النهار ، وقد جعل الله فيه البركة وهي : النماء والزيادة . فالمبارد المبكر إلى أي عمل يجد بركة من الله - تعالى - في عمله ؛ فإن توجه لطلب العلم وجد سهولة في الفهم ، وقدرة على التحصيل ، وسرعة في الاستيعاب ، وإن بدأ حفظ القرآن رأى يسراً في الحفظ ، وجودة في الضبط ، واثقناً في المراجعة والاستذكار ، وإن سعى لطلب رزق وجد كثرة في الرزق وزيادة في الدخل ، وإن مضى لأداء مهمة تيسرت أسبابها وذللت صعابها .

إن وقت البكور تتوفر فيه أسباب النجاح وجودة الأداء ؛ لأن الجسم يكون في كامل طاقته ، وذروة نشاطه بعد إكمال راحته وتمام نومه ، كما أن الذهن يكون صافياً لعدم انشغاله وهدوء باله ، إضافة إلى أن وقت البكور فيه هدوء وسكينة لقلّة الناس وندرة الحركة ، ويزاد على ذلك أن تلك الساعات الأولى تضيف فسحة من زمن النهار يتضاعف بها الإنتاج ، وتزداد بها المنجزات .

والذين يصلون الفجر في وقتها يدركون البكور وينالون بركته ، ويجنون ما فيه من المنح الحسية والمعنوية وتلك أيضاً غنيمة فاغتنمها ولا تكن من الخاسرين .

أيها النائم :

بعد هذا الحشد الكبير ، والسرد العظيم لهذه الغنائم التي فيها أجر عظيم ، وفضل كبير ، ومنافع دنيوية ، وأخرى أخروية ، وفيها نعمة دخول الجنة ، ولذة النظر إلى وجه الله - جل وعلا - بعد هذا كله هل تطيب نفسك أن تحرمها من كل ذلك لأجل نوم على فراش وثير في هواء بارد ؟ هل يعقل أن تستسلم لضعفك لمجرد طلب المزيد من الراحة ، أو عدم مقاومة قليل من التعب ؟ هل ترضى أن تكون من الغافلين ؟ وهل تحب أن تكون من المحرومين ؟ ألسنت ترى آثار ترك صلاة الفجر وتأخيرها ؟ ألا تراها في محق البركة وخبث النفس وثقل البدن ؟ ألا تشعر بجفاف الروح وقسوة القلب ؟ أين أنت من نداء الأذان يشق صمت الليل بكلمة التوحيد والدعوة للفلاح ؟ وأين أنت من قرآن الفجر يصب في سمع الزمان آيات الله في كل مكان ؟ وأين أنت من أفواج الملائكة بالآلاف المؤلفة وهي نازلة صاعدة ؟ ألا يوقظك كل هذا ويحرك مشاعرك ؟ ألا يهيجك لتترك مضجعتك وتفارق مرقدك وتهب إلى الصلاة وتبادر إلى الفلاح ؛ لتكتب في الذاكرين وتكون من العابدين وتنال البشرية وتحظى بالأعطيات ؟ .

إنني أدعو فيك إيمانك بالله وهو مستقر في قلبك وهو يملأ نفسك .. إنني أخاطب فيك إيمانك بالمصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي يملأ بحبه قلبك ، وينطق بالصلاة والسلام عليه لسانك .. إنني أدعوك إلى الخير الذي تحبه والأجر الذي تنشده فلا ولا ولا تكن من الغافلين النائمين .

ويحك أيها النائم إن جوائز الدنيا وأعطيات أهلها رغم أنها لا تعدل شيئاً مقارنة بما ذكرت لك من غنائم الفجر ؛ فإنها مع ذلك لا تكون إلا نادراً ولا تتكرر إلا الفترة والفترة ومع ذلك ؛ فإنني أعلم أنك تستعد لها في كل مرة ، وتفرغ لها نفسك ، وتبذل لأجلها جهدك ، وتخفف وربما تكفي لنيلها راحتك ؟ ألسنت إذا كان عندك مهمة في العمل لها أثرها في مرتبتك ومررتك سهرت لأجلها الليل الطويل ، أو ذهبت إليها في منتصف الليل أو آخره ؟ وذلك لكي تنال منفعة عارضة

لمرة واحدة فما بالك تترك المنافع العظيمة مع كل انبثاق
فجر باستمرار لا انقطاع معه ، وكرم وعطاء لا يتبدل ولا
يتغير .
« أيها النائم استيقظ وبادر إلى الغنائم » .